غرائب العلم

من خطبة لحضرة نجيب افندي بستاني رئيس محكمة قضاء الماتن بلبنان تلاها في احتفال مدرسة شمس البر في بيروت

سادتي وسيداتي

لقد شاقني ما اقرأهُ كل يوم في كتب الغربيين ومجلاّتهم من الحديث المستفيض عن اسرار العلوم وما ينجم عن استقرائها من الفوائد الى اختيار هذا الموضوع الجليل راجيًا ان يشفع بي اليكم حداثة عهدي في مزاولة هذا الفنّ على خطارتهِ وقلّة المامي بتفاريعهِ مع انهُ يستلزم سعة الاطلاع وبعد النظر فاقول . ان الايام لم تزل ترينا من غرائب العلم وعجائب الاكتشاف ما تدهَشُ بهِ العقول الزكيّة ويستغربهُ العلماء بل ينكرهُ كثير من الفضلاء حتى عدَّ بعضهامن المعجزات وخوارق العادات الى ان عمَّ الاعتقاد بمنشإِها العلمي كالتليفون والتلغراف بدون سلك والفونوغراف والسينماتوغراف واشعة رنتجن والفوروفون وهو احدثها اختراعًا. ولا يذهب عليكم ان العلماء قد استيقظوا منذ اقدم القدم الى ممارسة بعض الاسرار العلمية كالسحر والصرع والشعوذة والعرافة واظهار الاشباح والخيالات فضلاً عمَّا نمَّت اليهِ نفوسهم من الادّعاء بمحادثة ارواح الاموات ومكالمة المعبودات مما تمخضت لهُ سماء العلم فاحدث في قلوب الناس واذهانهم اثرًا مذكورًا فظنّ قومٌ انهُ رجسٌ من عمل الارواح الخفيّة فاذاقوا دعاتهُ مرّ العذاب واعتقدهُ آخرون بما انطلى عليهم من خبث هؤلاء ودهائهم مما سأُلمّ بهِ في معرض البحث عن تفاريع هذا الامر ناقلاً اليكم الخبر على علاّتهِ مبينًا مزاعم العلماء كاشفًا ستر التعمية عن بعض اعمالهم وآرائهم وانا واياكم سواء في انكار ما يستهجن من كل ذلك واستحسان ما يسلم بهِ العقل فإنَّ من العلم لسحرًا

وقد اخترت ان اروي لكم من كل ذلك حديثًا مستطابًا عن غرائب العلوم السرية كالتلباثي وهو الشعور عن بعد وظهور المحتضرين وانتقال الافكار والنوم العصبي والرؤيا الشاقة حجاب الخفاء عن حوادث المستقبل ومحادثة ارواح الموتى والارواح القارعة . موردًا على كلٍّ منها بعض ما وقعت عليهِ من الامثلة الكثيرة في كتب الباحثين عن اسرار النفس الضاربين في بيداء الوهم آخذًا باهداب البحث عن كل فرع من فروع هذا المأخذ الخطير بما لا يتجاوز حدَّ التعريف مبتدئًا بظهور المشرفين على الموت مما يدخل في باب الشعور عن بعد

ذلك بان يقع على شعور المرء تأثيرٌ خفي يمثل لهُ حادثًا يقع على بعدٍ شاسع عنهُ كأن يرى

وهو في بيروت ما يدل على حادثة تقع في باريس او اميركا وهو ما يسميهِ الافرنج بتلباتي كما مر. وقد رأيت بعد طول التدبر ان الحوادث التي سأوردها على مسامعكم لا تخلو على مكان بعضها من المبالغة والغلو ونشوء البعض الآخر منها عن محض اتفاق مما يجعلها قريبة الى العقل لكثرة حدوثها بين البشر. من ذلك حادثة جرت في بيت الجنرال بارمنتيه في شلستادت الواقعة على نهر الرين في ليلة شديدة الحرّ وكان الباب بين غرفة الاستقبال وغرفة النوم قد ترك مفتوحاً ونافذتا غرفة الاستقبال كذلك تركتا مفتوحين وقيدت مصاريعهما لئلاّ يحركها الهواء وكان والد الجنرال بارمنتيه ووالدتهُ نائمين فشعرت والدتهُ بحركة رفعت السرير من الاسفل الى الاعلى فاستيقظت مذعورة وأيقظت زوجها وبينا هي تقص عليهِ الخبر اهتز السرير شديداً للمرة الثانية فأوقد زوجها مصباحاً وتفقّد الغرف وعاد قائلاً لها ليسكن جأشكِ فان الارض زلزلت وما لبث ان اضطجع حتى تحرّك السرير وصارت ضوضاء قوية في غرفة الاستقبال كانما قد تصادم مصراعا النافذتين وانكسر الزجاج فقام وزوجتهُ وتفقدا الغرفة فوجدا النافذتين مفتوحتين والمصاريع موثقة والزجاج سالماً فتحققا ان ما سمعاهُ كان وهماً فاستولى على والدة الجنرال من جراء ذلك خوفٌ شديد فقالت لزوجها لقد أُصيب باحد من ذوي قرباي او احبائي وما هذا الاّ انذارٌ خفيّ ولم يمضِ على ذلك ايامٌ قليلة حتى بلغها خبر وفاة رابتها في تلك الليلة عينها وكانت لشدّة ولعها بها قد أسفت وهي تحتضر لعدم تمكنها من وداع تلميذتها المحبوبة

وروى الفلكيّ فلاماريون حادثة جرت لصديقٍ لهُ في مدينة روان سنة ١٨٩٦ هي بمكانٍ عظيم من الغرابة قال كان لصديقي موريس صديقة تُدعى هيلانة ترعرعت واياهُ في مهدِ الصداقة والحب فحكم عليهما الزمان بالافتراق فذهبت هيلانة الى باريس وقد استحفظت موريس صورتها ليذكرها كلما رآها في غرفتهِ فاضرّ هواء باريس بهيلانة وانهك البعاد جسمها فانحلهُ واعتراها داء السلّ فجزع موريس لذلك واخذ يراقب سير الداء ويراسلها وتراسلهُ الى ان كتبت اليهِ ذات يوم انها مستدرجةٌ الى الشفاء فقال ان الشفاء ممكن وما على الله شيءٌ عسير. وفي تالي ذلك اليوم اي في السادس عشر من نيسان (ابريل) جاش بالهُ النهار بطولهِ متوجساً ان يكون ما اشارت اليهِ من الشفاء ناشئاً عن تعلّق المسلولين بحبال الآمال فدخل غرفتهُ جزعاً وجلس في كرسيهِ محدقاً الى صورة تلك الصديقة غريقاً في بحار الافكار والآمال فرأى اجفانها تختلج في الصورة وشفتيها تتحركان كأنها تخاطبهُ ثم سمع صوتاً أدهشهُ فاذا ناقوس الساعة يطنّ الساعة الثامنة فظن انهُ في حلم فمسح عينيهِ معاوداً النظر الى الصورة فرآها ثانيةً قد فتحت عينيها شديداً ثم اطبقتهما وحركت شفتيها وتنهّدت فذُعر مما رأى وتوسّد لينام فأرقَ

ونحو الساعة العاشرة قُرِع باب غرفته بعنف فناولوهُ رسالةً برقية تنبئهُ بان هيلانة ماتت الساعة الثامنة فبكّر من الغد الى باريس فاخبروهُ ان هيلانة لم تفتر عن ذكره دقيقة واحدة وانها قالت قبيل وفاتها بدقائق لا شك ان صديقي موريس ينظر الآن الى صورتي راجيًا لي الشفاء

وقد قرأت نحو مائة وثمانين حادثة مثل هذه ولا يُعقل ان تكون بجملتها صادرة عن محض الصدفة والاتفاق كما يزعمهُ البعض ولا بدّ من تأثير خفيّ يُدرك عند حدوثهِ فقط فان مثل هذه الحوادث يُدركها المراقبُ البصيرُ ولا يقوى احد على احداثها . واكثر بعض العلماء على انها خارجة عن حد الاوهام واضغاث الاحلام ناشئة عن شعور النفس بما يقع على بُعد عنها حينما تكون مهيأة لقبول مثل هذا التأثير باستقرارها على امرٍ معلوم واشتغالها بهِ دون سواهُ وهو قريب الى الصواب ان لم يكن حقيقيًا فان من النفس الى النفس سبيلاً

ثم اننا اذا اعتبرنا ما تقدّم فقد تمثلت لنا قوة سرية لم تزل مجهولة تصدر عن المرء وتؤثر في من كان بعيدًا عنهُ من امثالهِ . وليس مراد العلماء ان النفس الحية هي التي تنفصل عن الجسد مندفعةً نحو الشخص الذي تؤثر فيهِ فانما يظنون ان هناك شيئًا من الاشعاع او اهتزاز الهواء بحيث تصدر عنهُ امواجٌ تصدم الدماغ فتوهمهُ حصول حادث معلوم كما ان الاشياء التي نراها لا ندرك وجودها بالحسّ بها فعلاً بل بانتقال صورها الى الدماغ . والرأي الغالب على ان نفس المشرف على الموت تؤثر عن بعدٍ في نفس غيرهِ من الاحياء بطريق الدماغ وما يتراءى لهذا من انتقال الاشياء من مكانٍ الى مكان وما يتمثل لهُ من الاشباح والخيلات وما يقع على سمعهِ من الاصوات كلها اوهام تتعاقب في دماغهِ وهو في تلك الحالة . ولم يرَ العلماء في ذلك شيئًا من وراء العقل فاننا اذا اخذنا آلتين موسيقيتين وضربنا على اوتار احداها احدث اهتزازها اهتزازًا لأوتار الاخرى ولو بعيدةً عنها لان تموجات الصوت ينقلها الهواء بصورة خفية . أوَليس الفونوغراف ينقل اهتزازات الصوت من بلادٍ الى بلاد فيُردّد على اسماعنا الكلام والانغام . أولسنا ونحن على بعد ملايين من الاميال عن بعض الاجرام السماوية نتمكن من تصويرها بواسطة اشعة النور . اليست اشعة رنتجن تخترق الاجسام الجامدة وتكشف لنا ما وراءها من صور الاشياء . أليس الدماغ مرجع كل ما نشعر بهِ من فرح او ترح او ألم ومع ذلك فنحن نظن ان الالم محصور في العضو الذي يقع عليهِ الفعل . فلو احترقت يد انسانٍ لظن الالم محصورًا في يدهِ او كُسرت رجلهُ فالامر كذلك مع اننا لو قطعنا الاعصاب الواصلة ذلك العضو بالدماغ لما شعر باحتراق يدهِ وانكسار رجلهِ لانقطاع خط الصلة بينهما وبين الدماغ موطن كل شعور . واغرب من هذا ان الشعور بوجود الذراع مثلاً لا يترتب على وجودها فقط فان كثيرين من

فاقدي الذراع الواحدة او الرجل الواحدة يشعرون بها كما لو كانت لم تزل موجودة فاذا قرس البردُ حاولوا ستمرها تحوّطاً فان جندياً اطارت كرات المدافع رجلهُ كان اذا جاء الشتاء يشعر بآلام في رجلهِ المفقودة ولاسيما اذا جن الليل وارخى الظلام ستارهُ

ويقال ان جندياً من جنود نابوليون الاول فقد رجليهِ في الذودِ عن بلادهِ واستبدلها برجلين من خشب ثم احسَّ ببرد شديد في رجليهِ المفقودتين فاشعل ناراً وادناها منها ليصطلي فاشتعلتا ومات ضحية هذا الوهم . وبالجملة فان تولد الافكار واشتراكها انما ينشأ ان عن اهتزاز الدماغ وما يتفرّع عنهُ من اهتزاز المجموع العصبيّ . ويذهب العلماء في ايضاح ذلك الى مقابلتهِ باهتزاز وترٍ موسيقيٍّ فان كلَّ جزءٍ صغيرٍ من اجزائهِ يهتزّ على حدتهِ وكذلك الدماغ اذا اهتزَّت ألياف جزءٍ منهُ بتأثير فكر فيها فلربما اهتزت الالياف المجاورة لها ايضاً فينشأ عن ذلك اشتراك في الافكار الحاصلة . وعليهِ فكل حركةٍ في الفكر يقابلها حركة في الدماغ وهو ما حمل دعاة العلوم السرية على الاعتقاد بالشعور عن بعدٍ . ولا يسعني المقام أن اورد جميع الامثلة والبراهين التي يذكرها هؤلاء في كتبهم فاكتفي بما تقدم مضيفاً اليهِ ان التأثير الذهني اذا كان بالغ الشدَّة قتل بقوّة ما يحدثهُ من الاهتزاز الشديد في الدماغ كما انَّ اعتقاد المرء انهُ مريض او مكسور اليد او مصدورٌ او مشرفٌ على الموت كافٍ لانشاء الشعور بالالم في ذلك العضو واحياناً لاحداث الموت

ويزعم هؤلاء ان اصدق دليلٍ على التأثير الذهني او انتقال الفكر من دماغ انسان الى دماغ انسانٍ آخر انما هو ما يرى في حوادث النوم العصبي مما لا يبقى معهُ محل للريبة والالتباس من ذلك ما حدث في مدينة نسي بفرنسا في ٩ كانون ثاني سنة ١٨٨٦ الغابرة للاستاذ ستانسلاس غيطا والدكتور امبرواز ليبو فانهما عقدا اجتماعاً في بيت هذا الاخير حضرهُ كثيرون واستقدما آنسةً تدعى لويز وبعد ان أُنيمت نوماً عصبياً أُمرت ان تجاوب على الاسئلة التي يتصوّرها الدكتور ليبو في ذهنهِ دون ان يتفوّه بكلمةٍ او يشير الى شيءٍ فوضع الدكتور يدهُ على جبينها هنيهةً وتصوّر في فكرهِ السؤال الآتي " متى يتمّ شفاؤكِ " فاجابت بصوتٍ سمعهُ من حضر " قريباً ان شاء الله " فأُمرت حينئذٍ أن تعيد السؤال الذي قرأتهُ في فكر الدكتور ليبو فاعادتهُ بحرفهِ وعقب هذا دنا منها الاستاذ غيطا وبعد ان وضع يدهُ على جبينها تصوّر في ذهنهِ السؤال الآتي " العودين الاسبوع القادم " فاجابت " ربما " فأُمرت ان تعيد السؤال الذي قرأتهُ في فكر الاستاذ فاعادتهُ هكذا " أتاتي انت الاسبوع القادم " فكانها اخطأت في قراءة كلمة واحدة فقط . ثم عمد الدكتور ليبو الى ورقةٍ ورقم عليها هذه العبارة

" إن لويز اذا استفاقت رأت برنيطتها السوداء حمراء " فاطلع الحضور على العبارة ثم جلس الاستاذ غيطا والدكتور ليبو امامها وهي لم تزل نائمة ووضعا ايديهما على جبينها وهما يفتكران في العبارة المارّ بيانها فلما افاقت وقع نظرها للحال على البرنيطة فقالت ضاحكة "قد بدلتم برنيطتي بما هو في شكلها وحجمها فلن ارضَ بذلك فاتركوا المزح وادفعوا اليّ برنيطتي" وبعد جدال طويل سئلت عما تجدهُ من الفرق بين الاثنتين فقالت " أليس لكم عيون أليست هذه حمراء وبرنيطتي سوداء " ولم تزل تخبط في الاوهام حتى قال لها الدكتور ليبو ان البرنيطة ستعود الى لونها وتناولها بيديهِ ونفخ بفمهِ عليها بما اوهمها انها عادت سوداء فتناولتها شاكرة

اما النوم العصبي المعروف بالهبنوتزم فقد اكتشفهُ الدكتور جمس برايد سنة ١٨٤١ وقديمًا كانوا يخلطونهُ بالمغنطيسية الحيوانية وما جاءت بهِ من الغرائب في الاعصر الخالية لعهد كاغليوسترو وفاريا ومسمر وغيرهم ذلك بان يتسلط المنوّم على النائم بقوة الارادة والنظر والاصوات المرتفعة فيصيح وهو على هذه الحالة طوع ارادة المنوّم يأتمر بامرهِ وينتهي بنهيهِ فيوهمهُ الماء القراح خمرًا والحجارة نارًا والهواء ارواحًا وينطقهُ ما يريد ولذلك تكوّن افكار النائم صدًى لافكار المنوّم فيتحدان فكرًا ورأيًا وعلمًا . وايضاحًا لذلك أروي لكم حديثًا للدكتور فيلبس عما وقع لهُ في تونس سنة ١٨٥٣ فانهُ دُعي لإنامة رجل امام جماعة من الادباء فاختار لذلك رجلاً عصبي المزاج وأنامهُ النوم العصبي وناولهُ حجرًا باردًا وكان قد الحمهُ بقوة الذهن انهُ انما ناولهُ جمرة محرقة فانقبضت عضلات وجههِ لشدة الالم وصار يتناقلها بيديهِ كمن قد احرقتهُ حرارتها ثم ناولهُ كاسًا من الماء القراح والحمهُ انهُ خمرٌ فما لبث ان شرب منها حتى بدت عليهِ امائر السكر وصار يخطر في مشيتهِ ويهتزُّ ويتبختر كالنشوان

ومن غرائب ما صنعهُ الدكتور شاركو في باريس إبان قيامهِ على معالجة المصابين بالامراض العصبية الحادة وداء النقطة والهستيريا وسائر الامراض الدماغية انهُ كان يوقع الواحد منهم في سبات بتوجيه النور الكهربائي على عينيهِ او بقرع ناقوس قرب اذنيهِ . وقد شهد جمهور الباريسيين عدة حفلات اتخذها لتلك الغاية فكان يحدث النوم السباتي بتصويب النور الكهربائي على عيني المريض فلا يأتي عليهِ دقائق قليلة حتى يجمد نظرهُ وترتخي اعضاؤهُ بحيث يتمكن المنوّم من تغيير وضعها فتتغير لذلك هيئة وجهِ النائم فاذا رُفعت يداهُ الى فمهِ كمن يقبّل شيئًا ابتسم ثغرهُ واذا رُفعتا الى الامام كمن يدافع عن نفسهِ ظهرت امارات الغضب عليهِ . وقد احدث شاركو ببراعتهِ في هذا الفن اثرًا مذكورًا في نفوس الفرنساويين بما وصل اليهِ طَولهُ من احداث الشخوص تارةً والسبات أخرى ذلك بانهُ اوقع النور الكهربائي على عيني انسانٍ فأنامهُ نومًا

سباتيًّا فاصبحت اعضاؤهُ جميعها خاضعةً لارادتهِ فرفع رجل النائم وأمرهُ ان يبقيها مرفوعةً فبقيت ما شاء وكذلك يدهُ وباقي اعضائهِ ثم صوَّب النور نحو احدى عينيهِ فقط فاضحى نصف جسدهِ في سبات والنصف الآخر في شخوص بما اصار النصف الاول خاضعًا لاوامر شاركو واخرج النصف الثاني عن سلطتهِ والعكس بالعكس. وقد استعان هو وزملاؤهُ بالنوم العصبي في معالجة الامراض العصبية واستعاضوا بهِ عن الكلوروفورم في الجراحة ذلك اذا كان المريض عصبيَّ المزاج متهيئًا للانفعال والقبول يتأثر لاقل حادث وقصَّروا عن تنويم من كان قويَّ البنية جيد الصحة من ذوي الامزجة الاخرى

ومن اغرب ما يذكر عن حالة النائمين على نحو ما تقدم انهم لا يعدمون الرشد والادراك فيعقلون ما يسمعون ويفعلون ما يؤمرون بهِ ويكتبون اسماءهم وبعض الاجوبة التي يريدها الطبيب مما سيأتي ذكرهُ في اثنة هذا البحث لانهم يسمعون صوت الطبيب عند ما يأمرهم بأن يأتوا حركةً او عملاً معلومًا ولضعف ارادتهم واعتلال صحتهم يستمكن منهم حكم العادة مما يثبت ان النوم العصبي لا يزيد على ما قدمنا والا لم يكن المرء مسؤلاً عن اعمالهِ وساغ لكثيرين من المجرمين ان يدَّعوا العذر في ما يجترمون

واما محادثة ارواح الموتى فقد شغلت اذهان فريق من العلماء منذ اقدم القِدَم فزاولوها باساليب وطرق غريبة وابتنوا لمشايعيهم المنتديات يختلفون اليها في مواقيت معلومة لممارسة هذه الطريقة يفتتحون الحفلات بصلوات يتلونها استعطافًا للارواح السابحة في الافلاك الحائمة حول الارض . ومن معتقد هؤلاء ان للنفس جسدين جسدًا ماديًا وجسدًا بخاريًا شفافًا وان هذا الجسد البخاري الشفاف ينفصل احيانًا عن الجسد المادي فتتكاثف اجزاؤهُ الدقيقة ويظهر للعيان بشكل خيال وان النفس انما تنفصل بالموت عند الجسد المادي وترتدي الجسد البخاري فتطوف العالم تحادث الاحياء وتعاونهم على ادراك رغائبهم . ومن مزاعمهم انَّ ما يحدث من الغرائب انما يصدر عنها على ان محادثة هذه الارواح الخالدة انما تجري بشفاعة الوسطاء ممن حصلوا بطول المزاولة وبرقة مزاجهم العصبيّ السريع الانفعال على الملكة الراسخة في هذا الفن وهم ايضًا خاضعون لسلطة اساتذة الفن الذين يلكونهم بشيء من النوم العصبي

واليكم تفصيل بمحادثةٍ جرت في لندن سنة ١٨٩٨ في بيت المستر هوجسن فانهُ استقدم اليهِ وسيطًا يدعى بايبر مشهورًا بمحادثة الارواح ليستعين بعد نظرهِ على مخاطبة صديقٍ لهُ يدعى بلهام كان قد أخذ على نفسهِ ان يظهر لهُ بعد الموت ويأتيهُ بالخبر الصادق والقول الفصل عن اسرار العوالم الروحية فانتبذ هوجسن احدى زوايا الغرفة وجلس والدبلهام بجانبهِ واماهما

الاستاذ فنوت وجلس الوسيط امام مائدة في منتصف الغرفة وبعد ان شخص طرفة من الزمن واختلجت اعضاؤه سأله الاستاذ عما انكشف له من وراء حجاب الغيب فاجاب انهُ يتكلم بلسان روح جورج بلهام المشوق الى عناق والده فسأله والدهُ بلسان الاستاذ فنوت ان يذكر الامور الخطيرة التي وقعت لهُ في حياته فذكر شيئاً منها بلسان الوسيط وأتى على وصف غرفته وتحديد ما يجاور دار والده من البيوت والرياض فدفع الاستاذ الى الوسيط قلماً وقرطاساً فصارت يدهُ تكتب ما ينزل عليهِ من حديث الروح جواباً على خطاب والده فكتب العبارات الآتي تعريبها " لقد استيقظت الآن لادراك ما في الخلود من الحقائق فاحسبني كنت لاول الامر في ظلام حالك بما استولى عليَّ من هول الموقف في عالم الارواح وسيكون من همي ان اراكم واحادثكم حيناً بعد حين فانني اسمع ما تقولون واصواتكم تقع على مسمعي كاصوات الدفوف واما صوتي فيكاد سمعكم لا يدركهُ لضعفهِ وانخفاضهِ " كل ذلك والوسيط يرقم العبارات بسرعة غريبة وعيناهُ تنظران الى الاعالي فلما فرغ من الكتابة وقع القلم من يدهِ وتدلت فقال والد بلهام مخاطباً روح ولدهِ " يا بنيَّ أذهشتَ اذ نظرت نفسك حيًّا بعد الموت " فاختلجت يد الوسيط ثم عادت وتناولت القلم ورقمت الجواب الآتي " ادهشني ذلك ولاسيما اني لم اكن اعتقد بالحياة الآتية بل حسبت ذلك فوق ادراك البشر فاننا معاشر الارواح اذا انفصلنا عن الجسد المادي ارتدينا الجسد البخاري الشفاف " وهنا سكت الروح عن الكلام . ولقد قدمنا ان محادثة الارواح ضربٌ من النوم العصبي فلا حاجة الى الاعادة

اما ظهور الارواح فلا يسمح لي ضيق المقام ان اذكر حوادثهُ تفصيلاً لان كثيرين من علماء هذا الفن يتوسلون الى اظهار الاجساد البخارية الشفافة بطرق الشعوذة والتمويه يتخذون المرايا وانعكاس النور سبيلاً الى تمثيل جسد الاسكندر او ارسطو او ابقراط وسواهم من الفلاسفة والمشاهير انما بقي عليَّ ان ألمَّ بمحادثة الارواح القارعة والموائد الدوارة . اما هذه فقد عمَّ استعمالها واستأنس الجميع باسرارها فانما هي عبارة عن مائدة مستديرة ذات عمود واحد ينتهي بثلاث ارجل تسهيلاً للحركة يحدق بها ثلاثة او اربعة او اكثر من الناس يضعون اطراف انامليهم عليها ويتخصون برهة من الزمن فلا تلبث ان تتحرك فيرفعون ايديهم عنها فتدور على ارجلها متقدمة الى الامام ويعلم الجميع ان هذه الحركة تنشأ في الغالب عن فعل فاعلٍ يدفع المائدة بخفة فتدور على نحو ما تقدَّم وكثيراً ما يكون الفاعل وسيطاً يجلس بين هؤلاء ويفعل ذلك بامر الاستاذ لما لهُ من السلطة عليهِ كما يحصل في النوم العصبي وقد اسلفت ان لمزاولي هذا الفن منتديات وهياكل وصلوات فاذا اجتمعوا لمحادثة الارواح تلا الاستاذ

الصلاة الآتية " نسأل الله القادر ان يبعث الينا بالارواح الصالحة هدًى واستصلاحًا ويقصي عنا الارواح الخبيثة فيقينا حبائل مكرها وتجاربها وان يرشدنا بنوره " — الى ان يقول — "ايتها الارواح الصالحة ارشدينا سواء السبيل وانفي عن اذهاننا حبَّ الذات والكبرياء والحسد لنتجاوز عمن اساء الينا من امثالنا "

وقد حار الناس في اواسط القرن التاسع عشر في امر الارواح القارعة وفي ما أتى الوسطاء في محادثتها فلقبوهم بالعجائبيين ولم يصلوا بعد طول البحث وزيادة التدقيق الى رفع براقع التمويه عما استنبط هؤلاء من الحيل لستر اعمالهم وممن نبغ في الفن عقيلة فوكس وابنتاها نحو سنة ١٨٥٢ في الولايات المتحدة. فقد أتين اعمالاً طار ذكرها في الآفاق فكثر تحدث الناس بهنَّ واكثروا لهنَّ من العطاء والرفد وبالجملة فانهنَّ كنَّ يحادثن الارواح فتجيب عن اسئلتهنَّ باصوات تقع على اسماع من حضر كقرع الابواب فان ايجابًا قرع الباب او المائدة او غيرها من اثاث البيت ثلاثًا وان سلبًا صمتت الارواح . ومما يتخلل هذه المحادثات اصوات خفية اشبه بضرب الدفوف الصغيرة مما اخذ بافكار الناس واوهامهم ان وراء ذلك سرًّا لا تدركهُ الاَّ الارواح العائمة في الفضاء الى ان اتصل الدكتور شيف الى كشف هذا المعمَّى بحضرة المجمع العلمي بباريس فاثبت ان تلك الاصوات انما تصدر عن جسد الوسيط يحدثها بتحريك عضلة من عضلات جسدهِ بصورة خفية بقبض ربلة الساق ودفعها على عظم الساق تباعًا فتحدث اصواتًا كقرع الابواب او ضرب الدفوف ومثلها فلكة الركبة اذا دفعت الى الامام ثم أُعيدت ولاسيما ان مقدرة بعض الناس على تحريك بعض عضلات الذراع والاوراك وفلكة الركبة على هذا النمط ثابتة عند الاطباء . ولما شاع ذلك وذاع دعا قومٌ من الاطباء ابنتي فوكس الى حفلة وراقبوا حركة فلكة الركبة على نحو ما تقدَّم فتحققوا صدق الدكتور شيف وهكذا كشفوا نقاب الوهم عن اذهان الناس جميعًا

اما الرؤيا فهي ما يتراءى للمرء في نومهِ من الصور او يتصوَّر حدوثهُ من الحوادث فانها تتعاقب في ذهنهِ باسرع من لمح البصر يكاد يشهد منها في ثانية ما يقتضي اياماً وشهورًا اما منشأ اكثرها فمن اخلاطٍ في معدة النائم او ازعاجٍ في وضع جسمهِ او ضيقٍ في تنفسهِ او مماسة جسمٍ غريبٍ لاعضائهِ وما يعتريهِ احيانًا من عطشٍ او جوعٍ او بردٍ او مرضٍ فانها كلها تحدث تأثيرًا في فكرهِ لان اشتغال الفكر في اليقظة بامرٍ معلومٍ واستقرار النفس بكليتها عليهِ انما يحدث اثرًا في الدماغ والمجموع العصبي يستمرُّ حتى خلال النوم وينفرع عنهُ افكار اخرى لم تكن في الذهن ولا في الحسبان فقد يتفق ان يتحقق بعضها في اليقظة بعد الرؤيا بايام مما لم

يقع حتى الآن تحت الحصر الاَّ انهُ بمكانٍ عظيم من الغرابة من ذلك رؤيا زوجة يوليوس قيصر فانها حلمت بقتل زوجها ونصحت لهُ ان يجتنب الخطر المحدق بهِ فلم يعبأ بكلامها فمات مقتولاً ورؤيا فارون اذ حلم ان ابنهُ آتيس لا يموت الاَّ قتلاً فاصابهُ سهمٌ قتلهُ اذ كان يصيد . واغرب من هذا ما وقع للموسيقي الشهير ترتيني فانهُ قصَّر في اليقظة عن تأليف احد اصواتهِ الشهيرة فادركهُ النعاس وهو في الجهد والعناء فاتاهُ ابليس في نومهِ وقال لهُ " ان سلطتني على نفسك اسمعتك ما شئت من الاصوات وفرَّجت كُربتك" فاجابهُ ترتيني الى ذلك فأخذ ابليس القيثار واسمعهُ الصوت الذي لم يقتدر عليهِ فاستيقظ ترتيني ورقم للحال ما سمع في نومهِ فاذا هو الصوت الذي يريدهُ . وقد ذكر ڤولتير انهُ حلم ليلة بعدة ابيات من الهنريات قصيدتهِ المشهورة . والامثال على ذلك كثيرة لا يسعنا المقام تعدادها . ومما يزعمهُ فلاماريون ان الفكر لا ينام تماماً وان استولى عليهِ فتور اي ان عملهُ قد يكون اذ ذاك منحصراً في ذاتهِ لا تشعر النفس بهِ ولا يرسم منهُ شيءٌ على لوح الذهن وان المرء لا يذكر من احلامهِ الاَّ النزر اليسير مما يكون قد احدث اثراً عظيماً في نفسهِ وقد لا يذكر هذا ايضاً كما انهُ لا يذكر من الافكار التي تتعاقب في ذهنهِ وهو في اليقظة الاَّ ما يكون اثرهُ باقياً في مخيلتهِ فاننا اذا ايقظنا انساناً مستغرقاً في نومهِ قام وحدثنا بامورٍ وافكارٍ قد تكون متضاربةً وقد تكون منسوقةً بما يسدّد الدليل على ان عمل الفكر يستمرّ في حالة النوم ايضاً وخالفهُ في ذلك كثيرون من نُطس الاطباء. ونحن نرى ان مثل هذه الاحوال يتعذَّر تمحيصها وتنقيتها مما يشوبها من داخلة الريبة والغموض . هذا ما وقعت عليهِ في هذا الباب من خطرات افكار العلماء وزبدة آراء الفضلاء رويتهُ لكم على مكان بعضهِ من الغرابة والله اعلم بمكنونات الامور . انتهى

رواية امينة

الفصل الرابع

ونهضتُ في الصباح بعد ليل لم اذق فيهِ طعم الكرى واخذت ألبس ثيابي وفُتح الباب ودخلت بوار وقالت اذنت لنا الخانم ان نزور بيت حميدة فالبسي حالاً وهلمي معي. قالت ذلك وخرجت مسرعةً . فسررت بهذا الخبر لانني كنت اودُّ الخروج من البيت وقبل ان لبست يشمكي دخلت وحيدة هانم وقالت بلغني انكِ ذاهبة فاتيت لاساعدك اجلسي لكي اضع لكِ اليشمك . ثم جعلت ترتب شعري ووضعت اليشمك على رأسي وشكلتهُ على حسب ذوقها